

مقارعة الحجة بالحجة، ولم يكن عندهم الا حجة التقليد لابائهم، كما قال تعالى في الاية -22- من سورة الزخرف: ((بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون)) وهى أوهى من حجة العقل التي كان يقرعون بها، ولهذا ذمهم لعدم استعمالهم عقولهم، كما قال تعالى في الاية - 170 - من سورة البقرة: ((و اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل انا قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون.))

ولما عجزوا عن مقارعة الحجة بالحجة رموا النبی صلی اﷺ عليه وآله وسلم مرة بالسحر، ومرة بالكذب، ومرة بالجنون، ومرة بالكهانة، وكل هذا من شأن العاجز المعاند، بل كانوا لمزيد عنادهم يقولون ما حكاہ القرآن عنهم في الاية -32- من سورة الانفال: ((اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب إليم)).

ثم انتهى أمرهم بالقتال، فشروعوا السيف في وجه النبی صلی اﷺ عليه وآله وسلم وقامت الحرب بين الفريقين، ولكنهم لم يحاربوا الا بعد أن شعروا بضعف باطلهم فاستمر شعورهم بهذا الضعف بعد حربهم، ومن يكون هذا شأنه لا تطمئن نفسه في القتال، بل يكون دائماً في خوف ورعب، لشعوره بضعف ما يحارب في سبيله، فيخاف سوء العاقبة في دنياه وأخراه، ويتملكه من الرعب والخوف من ذلك ما يتملكه.

ولم يكن هذا الشعور بالضعف خاصاً بالمشركين وحدهم، بل كان يشاركهم في التهيب من شأن النبی صلی اﷺ عليه وآله وسلم أهل الكتاب من اليهود و النصارى، كما يتبين من قصة وفد نجران، فقد وفدوا على النبی صلی اﷺ عليه وآله وسلم بالمدينة، فأورد عليهم الادلة، وأقام عليهم الحجج، ولكنهم أصروا على دينهم، فقال لهم النبی صلی اﷺ عليه وآله وسلم: ان انا أمرنى ان لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم. ثم خرج صلی اﷺ عليه وآله وسلم الى مبالهتهم، وعليه مرط من شعر أسود، وقد احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلى رضى انا عنه خلفها. قم قال لهم: اذا دعوت فأمنوا. فلما رأهم أسقف نجران